منارات

في طريق الهداية

د. تقي الدين الهلالي نموذجاً

تأليف

أ.د.عبدالله بن عمر الدميجي

أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | عنه ينتفع به

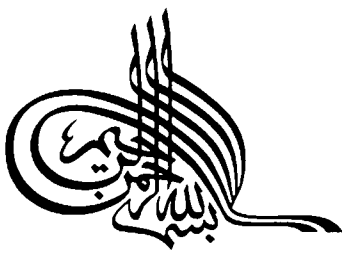

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيسرني أن أقدم بين يدي القارئ الكريم المريد للحق، الباحث عن سبيل الهداية، تجربةً شخصيةً لأحد العلماء الأفاضل من علماء عصرنا رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وهو فضيلة الشيخ الدكتور: تقي الدين الهلالي، سطر حروفها بقلمه وكتبها بأنامله[1] يملي عليه عقله ووجدانه، يصف أسباب ودوافع هذه الأوبة المباركة، ويذكر ما لقيه في هذه الرحلة الشاقّة من عقبات وشبهات ووساوس شيطانية تسعىٰ لصدّه عن السبيل وتقطع عليه الطريق إلىٰ الله تعالىٰ.

ولكنه بعد توفيق الله تعالىٰ واستعانته به عز وجل ثم

---

(١) مستلّة من كتابه رحمه الله (الهدية الهادية علىٰ الطريقة التجانية ص١٦-٢٢) الطبعة الثانية.

باستعمال ما آتاه الله تعالىٰ من نعمة العقل والفكر والعلم تجاوز جميع تلك العقبات حتىٰ شرح الله صدره للهداية، وأقبل علىٰ الكتاب والسنّة علْمًا وعملًا، ففيهما الشفاء كل الشفاء وفيهما النور والضياء، قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فقرّر بشجاعة وحزم اللّحاق بركب الأوّابين، وهُم كثر ولله الحمد من المتقدمين والمتأخرين، وعزم علىٰ خلع لباس الخرافة والجهل، وسلوك مسلك الطريقة المحمدية ـ ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ـ فانضمّ بفضل الله ومنّه إلىٰ سبيل الذين أنعم الله عليهم من النّبيين والصّديقين والشّهداء والصّالحين، وحسن أولئك رفيقا.

وفي هذه الوريقات حرصت علىٰ إخراج قصة هداية الشيخ رحمه الله كما سطرها بنفسه وعبّر عمّا في قلبه بقلمه لما فيها من العبر لمن اعتبر، وفيها من الدروس ما لا يخفىٰ علىٰ من أمعن الفكر والنظر ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقد سميتها: (منارات في طريق الهداية.. د. تقي الدين الهلالي نموذجا).

ووضعت للفِقَر عنوانات لتعين القارئ علىٰ الوصول إلىٰ المعلومة عند الرجوع إليها، وخرجت أحاديثها ووثقت ما أمكنني توثيقه من نصوصها، وقد قدّمت بترجمة يسيرة للمؤلِّف رحمه الله، ونبذة مختصرة عن الفرقة التجانية، ثم أردفت ذلك بتمهيد موجز يتعلق بموضوعها، وختمتها ببعض التعليقات علىٰ ما ورد فيها من عبارات أراها تستحق التوقف عندها والتأمّل والتفكر والتوضيح.

فإن كنت ـ أخي القارئ ـ ممّن منّ الله تعالىٰ عليهم بالهداية فاحمد الله علىٰ ذلك واشكره تعالىٰ فله المنّة وحده، واسأله الثبات علىٰ الحق حتىٰ الممات، وتَمثَّل النصيحة التي رويت عن النبي ﷺ: «**عرفت فالزم**»[1]. واجتهد في إنقاذ من

---

(١) هذه العبارة جزء من حديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن محمد بن صالح الأنصاري ـ كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالرُّؤْيَا ـ ٣٠٤٢٣ (٦/ ١٧٠) ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن الحارث بن مالك الأنصاري ٣٣٦٧ (٣/ ٢٦٦) وتمامه: عَنِ الْحَارِثِ بن مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ مَرَّ =

زلّت به قدمه لقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(١)، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**الدين النصيحة**»(٢).

وإن كنتَ أخي العزيز ممّن وقع في شيء من لوثات تلك

=

بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. فَقَالَ: «**انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟**» فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَأظمأت نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا. فَقَالَ: «**يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ**» ثَلَاثًا. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ٥٧): «فِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ، وَفِيهِ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الْكَشْفِ عَنْهُ».

(١) رواه البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٣(١/ ١٢) ومسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ٤٥ (١/ ٦٧).

(٢) رواه البخاري ـ باب قول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» (١/ ٢١) ومسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أن الدين النصيحة ٥٥ (١/ ٧٤).

الطريق وشِراكها فبادر بإنقاذ نفسك ما دمت في زمن المهلة وأنقذ نفسك قبل فوات الأوان ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

أسأل المولىٰ عز وجل الذي منّ علىٰ صاحب القصة بالهداية والإنابة فيما نحسب أن يردّنا إليه ردا جميلا، وأن يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يشرح صدورنا للحق والتزامه.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

كتبه

عبد الله بن عمر الدميجي

مكة المحروسة في ٢٩/ ١١/ ١٤٣٧هـ

البريد الإلكتروني: dumigi@hotmail.com

صفحة بيضاء

تمهيد

(بين يدي القصة)

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد:

فإنه قد يمر بالمسلم فترات يكون فيها أسير بيئته ومجتمعه الذي نشأ فيه، يقلّد رؤساءَه وكبراءَه وأشياخَه، ويتلقّىٰ بالتسليم ما كان عليه واقعه ومجتمعه، ولا يرضىٰ لنفسه مجرد التفكير والرويّة في التثبّت من سلامة ما هو عليه من تقليد، لسان حاله ما ذكره الله تعالىٰ عن المشركين: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢٣] وينظر إلىٰ الآخرين نظر المزدري لما هم عليه من صلاح، علىٰ غرار مترفي قريش حين قالوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

وهذا مسلكُ الذين عطّلوا عقولهم وأفكارهم، وسلّموا

قيادَهم لغيرهم وربطوا مصيرهم بمصيرهم من غير دليل ولا برهان علىٰ المبدأ الجاهلي:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

ولو تأمل المسلم هذه الحال لوجدها سيقت في القرآن الكريم مساق الذّم والإنكار، وأنها مسلك الجاهلية، بل أمر الله تعالىٰ الإنسان باستعمال ما أنعم به عليه وميّزه به عن البهائم والجمادات من العقل والفكر والسمع والبصر المرشدين إلىٰ معرفة الحق والاهتداء إليه، وجعَله مسؤولا عن عمله واختياره، قال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] ولا يتحمل غيرُه خطأَه وإن كان مقلدا، قال تعالىٰ: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

كما بين سبحانه وتعالىٰ أنه لا عذر لهم في هذا التقليد والتبعية ولا تغني عنهم من الله شيئا، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ

﴿الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨].

كما قرر براءة المتبوعين من الأتباع بقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

ولذلك كان من الواجب علىٰ المسلم الحريص علىٰ نجاة نفسه أن يكون عنده من الشجاعة والرجولة بحيث يقف صادقا مع نفسه متبصّرا في مسيره، مستوثقا من طريقه ومآلاته، متخلصا من قيود التقليد وحصونه فيقف مع نفسه متسائلا عن طريقته ومنهجه: «هل علىٰ مثل هذا كان النبي ﷺ وأصحابه!؟ وهل أنا في مسلكي هذا علىٰ الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، أو علىٰ مسالك ومهالك المغضوب عليهم والضالين؟ ثم يرد عليه السؤال الآخر: نجد أن الله تعالىٰ قد أمرنا عند الاختلاف وحصول الإشكال في أمر من أمورنا أن نرجع إلىٰ الميزان الصحيح الدقيق الذي

يعرف به الحق من الباطل وهو: عرْض ذلك الأمر علىٰ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فأين يجد ذلك في الكتاب والسنة ؟

هنا يتبين لنا معنىٰ وصية نبينا وحبيبنا وقدوتنا الرؤوف الرحيم بنا محمد ﷺ وكأنه يصف حالنا حين قال: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**» فما هو الحل بأبي أنت وأمي ونفسي يا رسول الله؟ نجد الجواب النبوي الشافي الكافي حاضرًا في تمام الحديث: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(١)

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٧١٤٣(٤/ ١٢٧) وأبو داود في السنن – باب لزوم السنة ٤٦٠٧(٤/ ٢٠٠) والترمذي بنحوه (ح٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وأخرجه ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١/ ١٧٩) وصححه الألباني في الصحيحة ح: ٢٧٣٥.

فهل هناك تأكيد بالاستمساك بذلك أبلغ من هذا؟ يؤكد ذلك ﷺ بالتحذير مما يقابل السنة فيقول: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**» ويؤكد حكمها بقوله ﷺ: «**وكل بدعة ضلالة**»!

إذنْ، لم يبق لمبطل مقالا، قال الإمام مالك، رحمه الله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا»(١)

وقال أبو حفص الكبير الشأن: «من لم يزن أحواله وأفعاله بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعدوه في ديوان الرجال»(٢).

---

(١) رواه عنه بسنده الإمام ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٦/ ٥٨).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٢٣٠) شعب الإيمان ١٧٢٣ =

فالعاقل الشجاع حقيقة هو من تخلّص من ربقة التقليد والتبعية، واجتهد في إنقاذ نفسه بسلوك سبيل السلامة والنجاة، والتوجه بقلبه ولسانه إلىٰ ربّه تعالىٰ مردداً دعوات النبي ﷺ: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرائيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم**»[(١)].

ومستشعرًا معاني الدعوات التي كان يرددها في كل ركعة من صلاته من غير تفكير في معانيها ودلالاتها: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

هذا مع يقينه التام بأن الله تعالىٰ إذا رأىٰ من قلبه صدق التوجه والإخلاص فإن الله لن يخذله كما وعد تبارك وتعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ

=

(٣/ ٣٠٦).

(١) صحيح مسلم ـ كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا ـ بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ ٧٧٠ (١/ ٥٣٤).

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل.

ترجمة موجزة

للشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله

هو العالم المغربي محمد تقي الدين بن عبد القادر الحسني الهلالي ولد في قرية «الفرخ» من بلاد سجلماسة في جنوب المغرب عام ١٣١١هـ، وقرأ القرآن علىٰ والده، وحفظه وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ونشأ علىٰ الطريقة التيجانية كما هي عادة أهل بلده، وتلقىٰ العلم علىٰ مجموعة من العلماء الأجلاء في بلدان مختلفة كالمغرب والجزائر ومصر والهند والعراق والسعودية.

وتقلد رحمه الله وظائف تعليمية مختلفة في أكثر من دولة في العالم الإسلامي وغيره، عمل في التعليم في العراق ثم عاد إلىٰ الهند فكان رئيس أساتذة الأدب العربي في كلية ندوة العلماء في مدينة لكنهو بالهند، ثم سافر إلىٰ سويسرا سنة ١٩٣٦م ومكث بها مدة، ثم رحل إلىٰ ألمانيا وعُيّن محاضراً في جامعة «بون» ثم في جامعة برلين طالبًا ومحاضراً ومشرفًا علىٰ الإذاعة الألمانية العربية ١٩٣٩ فحصل علىٰ الدكتوراه في

الفلسفة وفي ١٩٤٧م عاد الشيخ الهلالي إلىٰ العراق، فعمل أستاذًا جامعيًا في كلية الملكة عالية ببغداد وبقي إلىٰ ١٩٥٨م حيث قام الانقلاب العسكري في العراق، فغادرها عام ١٩٥٩م إلىٰ المغرب فعمل أستاذاً في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بعد غيبة طالت وقاربت خمسا وثلاثين سنة، وبعدها سافر إلىٰ المدينة النبوية ليعمل أستاذاً بالجامعة الإسلامية منتدبًا من المغرب وبقي يعمل بها إلىٰ ١٩٧٤م ثم كرّ راجعا إلىٰ بلاده وتفرَّغ للدعوة بالمغرب.

وقد أكسبته الأسفار الكثيرة إلىٰ البلاد العربية والهند وسويسرا وألمانيا، ولقاؤه العلماء في العالم العربي والإسلامي كثيرًا من التجارب والخبرات، وتمثلت فيه رحمه الله صفات العالم العامل والداعية الواعي، والمصلح الحكيم والمجاهد الصادق، وكان منهجه في التعليم والتربية، الحرص علىٰ غرس التوحيد، والالتزام بالأركان والعمل بالأصول والدعوة إلىٰ السنة، والبعد عن مواطن الخلاف في الفروع، والاستفادة مما لدىٰ الأمم والشعوب الأخرىٰ من تقدم علمي، فالحكمة ضالة المؤمن أنىٰ وجدها فهو أحق

الناس بها، وكان يتقن عدة لغات منها الفرنسية والألمانية والعبرية إضافة إلىٰ لغته الأصلية (العربية).

ومن أبرز مشايخه: الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري الذي تلقىٰ منه في الهند حتىٰ أجازه، وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا في مصر، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي في المدينة النبوية.

وله مجموعة من المؤلفات منها:

١- الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري ـ المجلد الأول فقط ـ.
٢- الإلهام والإنعام في تفسير الأنعام.
٣- مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل.
٤- الهدية الهادية للطائفة التيجانية(ومنه استللنا قصة هدايته هذه).
٥- القاضي العدل في حكم البناء علىٰ القبور.
٦- العِلْم المأثور والعَلَم المشهور واللواء المنشور في بدع القبور.

٧- آل البيت ما لهم وما عليهم.

٨- الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق.

٩- فكاك الأسير العاني المكبول بالكبل التيجاني.

وغير تلك المؤلفات لديه كثير من المقالات العلمية والتربوية والفقهية والقصائد الشعرية التي كتبها في أزمنة وأماكن مختلفة.

توفي الشيخ تقي الدين ـ رحمه الله وغفر لنا وله ـ بمنزله في الدار البيضاء بالمغرب في يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ حين كان مستلقيا علىٰ فراشه وكان أحدهم يقرأ سورة يس إلىٰ أن انتهىٰ من قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، فرفع الشيخ إصبعه إلىٰ السماء ففاضت روحه، رحمه الله رحمة واسعة ورزقنا جميعا حسن الخاتمة، وأن يجمعنا به ووالدينا وأحبائنا ومشايخنا في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا[1].

---

(١) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب (علماء ومفكرون عرفتهم) لمحمد =

التعريف بالطريقة التِّجَّانية

التجانية: طريقة من طرق التصوف يؤمن أصحابها بجملة من الأفكار والمعتقدات الصوفية، أسسها أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التجاني، نسبة إلىٰ (بني توجين) من البربر والتِّجَّاني، بكسر المثناة المشددة والجيم المشددة أيضا وقد تخفف[1] عاش ما بين (١١٥٠-١٢٣٠هـ) (١٧٣٧ ـ ١٨١٥م) وكان مولده في قرية عين ماضي من قرىٰ الصحراء بالجزائر حاليًا وأنشأ طريقته عام (١١٩٦هـ) في قرية أبي سمغون وصارت مدينة (فاس) المغربية هي المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها خرجت الدعوة لتنتشر في عامة بلاد أفريقية، وغالب أتباع هذه

=

المجذوب ١/ ١٩٣ الطبعة الرابعة. دار الشواف. وكتاب (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين) لخالد لكحل ـ نسخة الكترونية ـ ومجلة دعوة الحق، العدد الثالث، السنة الأولىٰ (آراء وأحاديث مع الدكتور تقي الدين الهلالي).

(١) حلية البشر (١/ ٣٠٣) وبغية المستفيد (١٢١) لمحمد العربي السائح.

الطريقة يؤمنون بأغلب ما تؤمن به الطرق الصوفية من أفكار ومعتقدات غالية، ومن ذلك إيمانهم بوحدة الوجود، وإيمانهم بالفناء الذي يطلقون عليه اسم (وحدة الشهود).

ولعل أبرز ما يميزهم ما يدعيه زعيمهم أحمد التيجاني بأنه قد التقىٰ بالنبي ﷺ لقاءً حسيًّا ماديًّا يقظة لا مناما وأنه قد كلمه مشافهة، وأنه تعلم من النبي ﷺ صلاة (الفاتح لما أغلق) وصيغتها: «اللهم صل علىٰ سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلىٰ صراطك المستقيم، وعلىٰ آله حق قدره ومقداره العظيم».

ولهم في هذه الصلاة اعتقادات كثيرة وينسبون لها فضائل عظيمة، وهي عندهم (تعدل من القرآن ست مرات، وفي رواية أخرىٰ ستة آلاف مرة)[1].

(١) جواهر المعاني (١/ ١٣٦).

مشاهير التجانية بعد المؤسس

وأبرز مؤلفيها

١ـ علي حرازم أبو الحسن بن العربي وهو الذي قام بجمع كتاب (جواهر المعاني وبلوغ الأماني) لشيخهم التيجاني وبهامشه كتاب «رماح حزب الرحيم علىٰ نحور حزب الرجيم» للفوتي.

٢ـ محمد بن المشري الحسني السائحي[1] السباعي (ت١٢٢٤هـ) صاحب كتاب الجامع لما افترق من العلوم.

٣ـ أحمد سُكيرج العياشي ١٢٩٥ ـ ١٣٦٣هـ صاحب كتاب الكوكب الوهاج.

٤ـ محمد عبد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني التيجاني المصري المتوفىٰ سنة١٣٩٨هـ وهو رائد التيجانية في مصر، ومؤسس (مجلة طريق

---

(١) نسبة إلىٰ قبيلة أولاد السائح في الجنوب الشرقي في الجزائر. ينظر: (تحقيق أحمد بن الحاج لكتاب: رسالة الشرفاء، لابن المشري ص٧).

الحق)[1].وله مؤلفات من أبرزها كتاب (الحق والخلق).

الانتشار ومواقع النفوذ:

بدأت هذه الطريقة التجانية من فاس بالمغرب، وما زالت تنتشر حتىٰ صار لها أتباع كثيرون في بلاد المغرب والسودان الغربي (السنغال ومالي) ونيجيريا وشمالي أفريقيا ومصر والسودان وغيرها من بلاد أفريقيا.

أهم المراجع التي تحدثت عن التجانية:

١ـ الهدية الهادية إلىٰ الطائفة التيجانية، الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ـ دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء، ط. ٢. ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٢ـ كتاب مشتهىٰ الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني، محمد الخضر ابن سيدي عبد الله بن مايابي الجكني الشنقيطي ـ طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر.

٣ـ التيجانية، علي بن محمد الدخيل الله، نشر وتوزيع

(١) هي مجلة خاصة بالطريقة التيجانية، كانت تصدر بالقاهرة.

دار طيبة ـ الرياض ـ دار مصر للطباعة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

٤ - الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية، عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي ـ ط. ٤، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٥ - الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق، الطبعة الثانية ـ مكتبة ابن تيمية، الكويت.

٦ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بإشراف الدكتور: مانع بن حماد الجهني رحمه الله.

قصة هداية الشيخ

[بداية القصة] يقول الشيخ رحمه الله تعالىٰ:

الحمد لله الذي أرسل خاتم النبيين وإمام المرسلين، محمدا ﷺ رحمة للعالمين بشيرا لمن آمن به واهتدىٰ بهديه بالفوز المبين، ونذيرا لمن كفر به وخالف سنته بالعذاب المهين، وصلِّ اللهم علىٰ محمد وأزواجه وذريته كما صليت علىٰ إبراهيم وبارك علىٰ محمد وأزواجه وذريته كما باركت علىٰ إبراهيم، صلاة تشمل آله ومن تمسك بسنته إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فيقول أفقر العباد إلىٰ الغني الكبير المتعالي، محمد تقي الدين بن عبد القادر الحسيني الهلالي غفر الله ذنبه وستر عيبه:

[نشأة الشيخ وتصويره لواقع التصوف في بلاده:]

نشأت في بلاد سجلماسة[1] وحفظت القرآن وأنا ابن

---

(١) سجلماسة بكسر أوله وثانيه مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان ـ غرب افريقيا ـ بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب. =

اثنتي عشرة سنة ورأيت أهل بلادنا مولعين بطرائق المتصوفة، لا تكاد تجد واحدا منهم لا عالما ولا جاهلا إلا وقد انخرط في سلك إحدىٰ الطرائق، وتعلق بشيخها تعلق الهائم[١] الوامق[٢]، يستغيث به في الشدائد ويستنجد به في المصائب، ويلهج دائما بشكره والثناء عليه ؛ فإنْ وجد نعمة شكره عليها، وإن أصابته مصيبة اتهم نفسه بالتقصير في محبة شيخه، والتمسك بطريقته، ولا يخطر بباله أن شيخه يعجز عن شيء في السماوات ولا في الأرض، فهو علىٰ كل شيء قدير.

وسمعت الناس يقولون: «من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه»[٣] وينشدون قول ابن عاشور في أرجوزته التي نظمها

=

انظر: معجم البلدان (٣/ ١٩٢).

(١) الهائم: الذاهب علىٰ وجهه عشقا. ينظر: لسان العرب ـ مادة: ه ي م (١٢/ ٦٢٦).

(٢) الوامق: المحب، وَمِقَه يمقه مِقَةً، والتموق: التودد، والمقة: المحبة. المصدر نفسه: مادة وم ق(١٠/ ٣٨٥).

(٣) روضة التعريف للسان الدين ابن الخطيب ص ٤٦٩ ط دار الفكر العربي.

في عقيدة الأشعرية، وفي فروع المالكية، وفي مبادئ التصوف:

يصحب شيخا عارف المسالك
يقيه من طريقه المهالك
يذكره الله إذا رآه
ويوصل العبد إلىٰ مولاه[١]

ورأيت الطرائق المنتشرة في بلادنا قسمين:

١- قسم ينتمي إليه العلماء وعِلْيَةُ القوم.

٢- وقسم ينتمي إليه السُّوقة وعامة الناس.

فمالت نفسي إلىٰ القسم الأول، وسمعت أبي[٢] وهو من علماء بلدنا مرارا يقول:

---

(١) البيتان من منظومة العقائد والعبادات، المسماة: (المرشد المعين) لعبد الواحد بن عاشر الفقيه المالكي، ينظر: الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين علىٰ الضروري من علوم الدين) كتاب مبادىء التصوف، وهوادي التعرف (ص: ٥٨٢).

(٢) والده الشيخ عبد القادر الهلالي من فقهاء سجلماسة وعليه درس تقي الدين القرآن الكريم.

«لولا أن الطريقة التجانية تمنع صاحبها من زيارة قبور الأولياء والاستمداد منهم وطلب الحاجات إلا قبر النبي ﷺ والصحابة، وإلا قبر الشيخ التجاني، وقبور من ينتمي إلىٰ طريقته من الأولياء» قال أبي: «لولا ذلك لأخذت ورد الطريقة التجانية، لأني لا أستطيع أن أترك زيارة جدِّنا عبد القادر بن هلال، وجدُّنا كان مشهوراً بالصلاح، وله قبر يزار وهو معدود من جملة الأولياء في ناحية الغرفة من القسم الشرقي الجنوبي من بلاد المغرب».

والطريقة التجانية[١]، والدرقاوية[٢]، والكتانية[٣]، وإن

---

(١) تقدم التعريف بها.

(٢) نسبة إلىٰ العربي الدرقاوي المتوفىٰ سنة (١٢٣٩ه) كان يعيش قريبا من مدينة فاس شمال المغرب، له كتاب (الرسائل) وهي رسائله إلىٰ مريديه، انتشرت الطريقة في جنوب المغرب علىٰ يد علي الدرقاوي. انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية (١/ ٣٤٨)،والأعلام للزركلي (٤/ ٢٢٣).

(٣) أسسها محمد بن عبد الواحد الكتاني المتوفىٰ بفاس سنة (١٢٨٩ه) لها أكثر من أربعين حزبا يواظب عليها أتباعها، ومن كبار شيوخها: عبد الكبير الكتاني، وجعفر بن إدريس الكتاني، صادر الملك محمد =

كان أهلها في بلادنا قليلا، تؤلف القسم الأول.

[الورد والوظيفة والعمارة: بيانها وفضائلها عندهم]

قال: «فاشتاقت نفسي إلىٰ أخذ وِرد الطريقة التجانية وأنا قد ناهزت البلوغ، فذهبت إلىٰ المقدِّم[1] وقلت له: يا سيدي أريد منك أن تعطيني ورد الطريقة التجانية، ففرح كثيراً، وقال لي: تأخذ الورد علىٰ صغر سنك ؟ قلت: نعم، فقال: بخ بخ لك، أفلحت وأنجحت، فأعطاني الورد وهو:

ذكر لا إله إلا الله مائة مرة، والاستغفار مائة مرة، والصلاة علىٰ النبي ﷺ بأي صيغة مائة مرة، لكن صيغة

=

الخامس جميع ممتلكاتها بعد عودته من المنفىٰ واستقلال المغرب بعد ثبوت عمالتها للاستعمار عنده، لها فروع في سوريا ومصر. انظر ترجمة مؤسسها في الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٥).

(١) المقدّم: هو شيخ الطريقة الحاضر، لكنهم لا يسمونه شيخ الطريقة، لأن التجاني لا يبيح لأحد أن يسمىٰ شيخ الطريقة غيره ـ كما سيأتي في آخر الرسالة ـ والمقدم هنا هو الشيخ عبد الكريم المنصوري ـ كما سيأتي ذكره ـ.

الفاتح لما أغلق هي أفضل الصيغ[١].

وأعطاني كذلك الوظيفة وهي: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة، وجوهرة الكمال: اللهم صلِّ وسلم علىٰ عين الرحمة الربانية... الخ ـ اثنتي عشرة مرة ـ.

وهذه الصلاة لا تذكر إلا بطهارة مائية، فمن كان فَرْضُه التيمم فعليه أن يذكر بدلها صلاة الفاتح عشرين مرة، قال: وإنما اشْتُرِطَت الطهارة المائية علىٰ ذاكرها لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين يحضرون مجلس كل من يذكرها، ولا يزالون معه مادام يذكرها.

ويجب ذِكر الوِرد مرة في الصباح ومرة في المساء بطهارة

---

(١) وصيغتها عندهم: «اللهم صلِّ علىٰ سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلىٰ صراطك المستقيم، وعلىٰ آله حق قدره ومقداره العظيم». ويدّعي التيجاني أنه أخذها من النبي ﷺ مشافهة ويقظة لا مناما، وأن قراءتها تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة.. جواهر المعاني (١/ ١٣٦).

كما يشترط في الصلاة، ويكون الذاكر جالسا كجلسة التشهد علىٰ الأفضل، مغمضا عينيه، مستحضرا صورة الشيخ أحمد التجاني، وهو رجل أبيض مشرب بحمرة ذو لحية بيضاء، ويتصور في قلبه أن عموداً من النور يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلب المريد.

أما الوظيفة فيجب أن تُذكر جماعة بصوت واحد، إن كان للمُريد إخوان في بلده، فإن لم يكن له إخوان تجانيون في بلاده جاز له أن يذكرها وحده مرة في كل يوم.

وأخبرني المقدم الشيخ عبد الكريم المنصوري ببعض فضائل هذا الوِرد، واستمررت علىٰ ذكر الوِرد والوظيفة بإخلاص ملتزما الشروط مدة تسع سنين.

وهنالك ذِكر آخر يكون يوم الجمعة متصلا بغروب الشمس وهو: لا إله إلا الله ألف مرة، والأفضل أن يكون معه سماع قبله أو بعده، وهو إنشاد شيء من الشعر بالغناء والترنم جماعة ثم يقولون جميعا: الله حي، والمنشد ينشدهم وهم قيام حتىٰ يخلص عند تواجدهم إلىٰ لفظ آه، آه، آه، ويسمُّون

هذه الحالة «العمارة»، وقد تركوها منذ زمان طويل، لأن أبناء الشيخ التجاني لا يستعملون هذه العمارة، وهم يأتون من الجزائر إلىٰ المغرب وقد أشاروا علىٰ المغاربة أن يتركوا العمارة لأنهم لا يستحسنونها، ولكن في كتب الطريقة أنها فُعلت أمام الشيخ التجاني وبرضاه وإقراره».

[قصته مع جمل رفيقه واستغاثته بشيخه]

قال رحمه الله: وكنت كلما أصابتني مصيبة أستغيث بالشيخ فلا يغيثني، فمن ذلك أنِّي كنت في الجزائر مسافراً من ناحية (بركنت) بقرب حدود المغرب إلىٰ (المشرية)، وكان لي رفيق له جمل فعقله وأوصاني بحراسته، وتركني في خيمة قِلنا فيها من خيام أهل البادية، فانحل عِقال الجمل وانطلق في البرِّية؛ فتبعته فأخذ يستهزئ بي، وذلك أنه يبقىٰ واقفا إلىٰ أن أكاد أضع يدي علىٰ عنقه ثم يجفل مرة واحدة، ويجري مسافة طويلة ثم يقف ينتظرني إلىٰ أن أكاد أقبضه ثم يهرب مرة أخرىٰ، وذلك في نحر الظهيرة وشدة الحر، فقلت في نفسي: هذا وقت الاستغاثة بالشيخ؛ فتضرعت إليه وبالغت في الاستغاثة أن يمكِّنني من قبض الجمل وإناخته فلم يستجب،

فعدت علىٰ نفسي باللوم واتهمتها بعدم الإخلاص والتقصير في خدمة الطريقة، ولم أتهم الشيخ البتّة بعجز عن قضاء حاجتي.

[وصية الشيوخ بعدم مطالعة كتب غيرهم، وتمرد الشيخ علىٰ هذه الوصية]

قال: ومع أن شيوخ الطريقة يوصون المريد ألاّ يطالع شيئا من كتب التصوف إلا كتب الطريقة التجانية، فقد وقع في يدي مجلد من كتاب الإحياء للغزالي فطالعته فأثر في نفسي، واجتهدت في العبادة والتزمت قيام الليل في شدة البرد.

[قيامه الليل، وحادثة المصلي معه، وتفسير الشيخ الشنقيطي لها]

قال: فبينما أنا ذات ليلة أصلي قيام الليل أمام خيمتي الصغيرة التي إذا كنت جالسا فيها يكاد رأسي يمسّ سقفها إذ رأيت غماما أبيض سدَّ الأفق كالجبل المرتفع من الأرض إلىٰ السماء، وأخذ ذلك الغمام يدنو مني آتيا من جهة الشرق ـ وهو قبلة المصلي في المغرب و الجزائر ـ حتىٰ وقف بعيدا

منّي، وخرج منه شخص وتقدم حتىٰ قرب منّي، ثم شرع يصلي بصلاتي مؤتما بي، وثيابه تشبه ثياب جارية بنت خمس عشرة سنة، ولم أستطع أن أميّز وجهه بسبب الظلام.

ولما شرع يصلي معي كنت أقرأ من سورة: آلم السجدة ففزعت وخفت خوفا شديدا، فخرجت منها إلىٰ سورة أخرىٰ أظنها سورة سبأ، ولم أستطع قراءة القرآن مع شدة حفظي له بسبب الرعب الذي أصابني، فتركت السور الطوال وأخذت أقرأ بالسور القصار التي لا تحتاج قراءتها إلىٰ رباطة جأش واستحضار فكر، فصلىٰ معي ست ركعات، ولم أُرد أن أكلِّمه، لأن كتب الطريقة توصي المريد أن لا يشتغل بشيء مما يعرض له في سلوكه حتىٰ يصل إلىٰ الله، وتنكشف له الحجب؛ فيشاهد العرش والفرش[1]، ولا يبقىٰ شيء من المغيبات خافيا عليه.

ولما طال عليَّ زمن الاضطراب دعوت الله في سجود الركعة السادسة ؛ فقلت: يا رب إن كان في كلام هذا الشخص

---

(١) أي: الثرىٰ.

خير فاجعله هو يكلمني، وإن لم يكن في كلامه خير فاصرفه عني، فلما سلَّمت من التشهد بعد الركعة السادسة سلَّم هو أيضا، ولم أسمع له صوتا.

[صفة التسليم من الصلاة عند المالكية واستدراكه عليهم]

قال رحمه الله: ولكني رأيته التفت عند السلام إلىٰ جهة اليمين كما يفعل المصلي المنفرد علىٰ مذهب المالكية[1]، فإنه يسلم مرة واحدة عن يمينه: «السلام عليكم» دون أن يضيف إليها: «ورحمة الله وبركاته» وإن كان مؤتما بإمام يسلم ثلاث تسليمات إن كان بيساره مصل تسليمة عن يمينه وهي تسليمة التحليل، و تسليمة أمامه للإمام، و تسليمة ثالثة عن شماله للمصلي الذي يجلس عن شماله.

وقد ثبت في الحديث الذي رواه أبو داود وصححه الحافظ أن النبي ﷺ كان يسلِّم عن يمينه: السلام عليكم

(١) انظر: مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها (١/ ٥١٠).

ورحمة الله وبركاته، وعن يساره: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[١].

وهذا هو الذي ينبغي لكل مصل أن يعتمد عليه سواء أكان إماما أو مأموما أو منفردا.

وبعد السلام انصرف ومشىٰ علىٰ مهل حتىٰ دخل في الغمام الأبيض الذي كان قائما في مكانه الذي كان ينتظره، وبعد دخوله في الغمام فورا أخذ الغمام يتقهقر إلىٰ جهة الشرق حتىٰ اختفىٰ عن بصري.

---

(١) زيادة «وبركاته» في سنن أبي داود ـ كتاب الصلاة ـ باب في السّلام ٩٩٧ (٢/ ٢٣٩) وصححها الحافظ ابن حجر في ـ بلوغ المرام من أدلة الأحكام ـ باب صفة الصلاة ٣٢٠ (١/ ١٥٢) وضعفها كثير من العلماء، وهو ظاهر كلام النووي في شرح مسلم (٤/ ١٥٣).
ومن العلماء من يرىٰ ثبوتها في الأولىٰ دون الثانية، والثابت أن النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه وعن شماله: «السلام عليكم ورحمة الله» كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي بعض ألفاظ حديث جابر بن سمرة عند مسلم ٤٣١ (١/ ٣٢٢) ما يشعر بجواز الاقتصار علىٰ «السلام عليكم» والأمر في ذلك واسع، والحمد لله.

وكان في قبيلة (حميان) شيخ شنقيطي صالح ما رأيت مثله في الزهد والورع ومكارم الأخلاق ـ وسأذكره فيما بعد ـ فسافرت إليه، وحكيت له تلك الحادثة فقال لي: «يمكن أن يكون ذلك شيطانا[1] لو كان ملكا ما أصابك فزع ولا رعب»، فظهر لي أن رأيه صواب.

[صلته بعلم الحديث]

قال رحمه الله: وبعد ذلك بزمن طويل أخذت أدرس علم الحديث، فرأيت في كتاب صحيح البخاري ما وقع للنبي ﷺ حين جاءه جبريل وهو في غار حراء، فظهر لي أن رأي ذلك الشيخ رحمه الله غير صحيح، وبقيت المشكلة بلا حلٍّ إلىٰ الآن، وكنت حينئذ مشركا أستغيث بغير الله، وأخاف وأرجو غير الله.

[تنبيه مهم حول الخوارق]

قال: ومن هذا تعلم أن ظهور الخوارق وما في عالم

(١) لعله يعني: من الجانّ، وإلا فالمشهور أن الشياطين هم فسقة الجن والإنس، وهؤلاء لا يتوقع منهم الصلاة.

الغيب ليس دليلا علىٰ صلاح من ظهرت لـه تلك الخوارق، ولا علىٰ ولايته لله البتة، فإن كلَّ مرتاض رياضة روحية تظهر له الخوارق علىٰ أي دين كان، وقد سمعنا وقرأنا أن العُبَّاد الوثنيين من أهل الهند تقع لهم خوارق عظام.

[رؤياه النبي ﷺ وحثه علىٰ طلب العلم]

قال: وبعد ذلك بأيام رأيت في المنام رجلا نبهني، وأشار إلىٰ الأفق فقال لي: انظر فرأيت ثلاثة رجال فقال لي: إن الأوسط منهم هو النبي ﷺ، فذهبت إليه؛ فلما وصلت إليه انصرف الرجلان اللذان كانا معه فأخذت يده فقلت يا رسول الله: خذ بيدي إلىٰ الله. فقال لي: «اقرأ العلم».

ففكرت فعلمت أني في بلاد الجزائر، وكان الفرنسيون مسؤولين[1] عليها وكان فقهاء بلدنا يُكفِّرون كل من سافر إلىٰ الجزائر، وإذا رجع من سفره يأمرونه بالاغتسال والدخول في الإسلام من جديد، ويعقدون له عقدا جديدا علىٰ زوجته فقلت في نفسي: هذا رسول الله ﷺ يأمرني بطلب

(١) كذا في الأصل، ولعلها: مستولين.

العلم، وأنا في بلاد يحكمها النصارىٰ! فإما أن أكون عاصيا أو كافرا، فكيف يجوز لي أن أطلب فيها العلم؟! هذا كله وقع في لحظة وأنا لا أزال واقفا أمام النبي ﷺ فقلت: في بلاد المسلمين أوفي بلاد النصارىٰ ؟ فقال لي: «البلاد كلها لله» فقلت يا رسول الله: ادع الله أن يختم لي بالإيمان، فرفع إصبعه السبابة إلىٰ السماء وقال لي: «عند الله».

[رؤياه النبي ﷺ بعد تركه التجانية والفرق بينها وبين الأولىٰ]

قال: وبعد ما خرجت من الطريقة التجانية ـ علىٰ إثر المناظرة التي سأذكرها فيما بعد إن شاء الله ـ بزمن طويل رأيت النبي ﷺ مرة أخرىٰ في المنام علىٰ صورة تخالف الصورة التي رأيته عليها في المرة المذكورة، ففي الأولىٰ كان طويلا أبيض نحيفا مشربا بحمرة لحيته بيضاء، أما في هذه المرة فكان رَبْعة من الرجال، إلىٰ الطول أقرب، ولم يكن نحيفا ولحيته سوداء وبياض وجهه وحمرته أقرب إلىٰ ألوان العرب من المرة الأولىٰ، وكانت رؤيتي له في فلاة من الأرض.

[وسوسة الشيطان له وتخويفه من ترك الورد التجاني وما يترتب علىٰ ذلك]

قال: وكنت بعدما خرجت من الطريقة التجانية توسوس نفسي أحيانا بما في كتاب جواهر المعاني مما ينسب إلىٰ الشيخ التجاني أنه قال: «من ترك ورده وأخذ وِردنا وتمسك بطريقتنا هذه الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية فلا خوف عليه من الله، ولا من رسوله، ولا من شيخه أيًّا كان من الأحياء أو من الأموات، أمّا من أخذ وِردنا وتركه فإنه يحلّ به البلاء دنيا وأخرىٰ، ولا يموت إلا كافراً قطعا، وبذلك أخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناما، وقال لي سيد الوجود ﷺ: «فقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأنا مربيهم».

وسيأتي من هذه الأخبار وأمثالها إن شاء الله كثير في ذكر فضائل الأوراد والأصحاب.

فكنت أدفع هذا الوسواس بأدلة الكتاب والسنة، وأرجم شيطانه بأحجارها فيخْنَس ثم يخسأ ثم يُدبر فارّاً منهزماً.

فلما رأيت النبيّ ﷺ في هذه المرّة خطر ببالي ذلك،

فعزمت علىٰ أن أبدأ الكلام مع النبي ﷺ بأن أسأله أن يدعو الله لي أن يختم لي بالإيمان، وأظن القارئ لم ينس أني سألته ذلك في المرة الأولىٰ فلم يدع لي، ولكنه رفع إصبعه السبابة إلىٰ السماء وقال: «عند الله» فقلت: يا رسول الله: ادع الله أن يختم لي بالإيمان. فقال لي: «ادع أنت وأنا أؤمّن علىٰ دعائك» فرفعت يدي وقلت: «اللهم اختم لي بالإيمان»، فقال النبي ﷺ: «آمين»، وكان رافعا يديه، فزال عني ذلك الوسواس، ولكني لم آمن مكر الله تعالىٰ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، والرؤيا تبشر ولا تغُر[1]، وبين هذه الرؤيا التي دعا لي فيها رسول الله ﷺ أن يختم الله لي بالإيمان بتأمينه علىٰ دعائي، والرؤيا التي قدَّمت ذكرها ولم يدع لي فيها عشرون سنة.

[سبب الاختلاف بين الرؤيا الأولىٰ والأخيرة في نظره]

قال: وتأوّلت اختلاف الصورة وعدم الدعاء في الرؤيا

(١) قال الإمام مالك رحمه الله: «الرؤيا تسرّ ولا تغر». التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٧١).

الأولىٰ والدعاء في المرة الثانية بما كنت عليه من الشرك في العبادة، وبما صرت إليه من توحيد الله تعالىٰ واتباع سنة نبيه ﷺ، والله أعلم.

[سبب خروجه من الطريقة التجانية]

قال رحمه الله: لقد كنت في غمرة عظيمة وضلال مبين، وكنت أرىٰ خروجي من الطريقة التجانية كالخروج من الإسلام، ولم يكن يخطر لي ببال أن أتزحزح عنها قيد شعرة، وكان الشيخ عبد الحي الكتّاني[1] عدواً للطريقة التجانية لأنه كان شيخا رسميا للطريقة الكتانية، وإنما قلت رسميا لأن

---

(١) عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الواحد بن عمرو بن إدريس بن أحمد بن علي الجامع: من حفاظ المغرب، وأحد رواد النهضة الثقافية والحديثية في مغرب القرن العشرين، ورجل من رجال التصوف البارزين، ولد بفاس في جمادىٰ الثانية عام ١٣٠٢/ وتوفي بسلا في ٢٩ شعبان عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ترك تآليف تناهز المائتين، منها: «اختصار الموطأ»، واختصار «جامع الترمذي» و«التبيان لفضائل القرآن». انظر: ترجمته في كتاب «منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني» للشريف محمد حمزة بن محمد علي الكتاني الحسني.

أهل (سلا) أعني الكتانيين أنصار الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني مؤسس الطريقة الكتانية لا يعترفون به أي: بالشيخ عبد الحي، ويقولون: إن الاستعمار الفرنسي هو الذي فرضه على الكتانيين فرضاً، والذي حدثني بذلك العالم الأديب النبيل الشيخ عبد الله بن سعيد السلاوي[1] فإنه كان حامل لواء نصرة الشيخ عبد الكبير الكتّاني[2]، وكان يُعادي أخاه عبد الحي عداوة، ويرميه بالعظائم والكبائر التي لا يسوغ ذكرها هنا، والاستطراد بذكر أسباب العداوة بين الشيخين الكتانيين الأخوين يخرج بنا عن الموضوع.

---

(١) نسبة إلى «سلا»: وهي مدينة مغربية عريقة، تقع على الضفة الشمالية لنهر أبي رقراق، على اليمين من مصبه في المحيط الأطلسي، بالقرب من العاصمة المغربية الرباط.

(٢) هو: عبد الكبير بن سيدي محمد الحسني الإدريسي الكتاني، فقيه من أعيان فاس. مولده ووفاته فيها. وهو والد صاحب فهرس الفهارس. من كتبه «مبرد الصوارم والأسنّة في الذب عن السنة» و«المشرب النفيس في ترجمة مولانا إدريس بن إدريس» و«الانتصار لآل البيت المختار» توفي سنة ١٣٣٣ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٥٠).

أقول: مرَّ بنا الشيخ عبد الحي في وَجْدَة[١] وأنا عند العالم الأديب الشاعر المتفنن في علوم كثيرة الشيخ أحمد سُكيرج[٢] قاضي القضاة بناحية وجدة معلما لولده الأديب السيد عبد الكريم وابن أخيه السيد عبد السلام، كنت أعلِّمهما الأدب العربي بدعوة من الشيخ أحمد سُكيرج فمدحت عبد الحي بقصيدة ضاعت مني، ولا أذكر شيئا منها، ولكنه أُعْجب بها أيما إعجاب حتىٰ قال لي: «عاهدني أنك إذا قدمت» فاسًا«تنزل عندي ضيفا» فعاهدته علىٰ ذلك.

ففي ربيع الأول من سنة أربعين من هذا القرن

---

(١) وجدة: مدينة مغربية قديمة، كثيرة البساتين تقع في شرق المملكة المغربية علىٰ الحدود مع الجزائر، كانت قديما طريق المارِّ والصادر من بلاد المشرق إلىٰ بلاد المغرب وسجلماسة وغيرها. ينظر: الاستبصار فىٰ عجائب الأمصار (١/ ١٧٧).

(٢) أحمد بن العياشي سُكيرج الخزرجي الأنصاري، الفاسي، ولد بفاس(١٢٩٥هـ وتوفي بمراكش ١٣٦٣ هـ، كان قاضيا، وله علم بالتراجم، من أهل الطريقة التجانية، له كتب، منها (كشف الحجاب عمن تلاقىٰ مع التجاني من الأصحاب) و(الرحلة الحبيبية الوهرانية). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٩٠).

الهجري[١] سافرت إلىٰ فاس ونزلت عنده، وَوُلِد لـه في تلك الأيـام ولـد سـماه عبـد الأحـد، فـالتمس منّـي نظـم أبيـات في التهنئة وتاريخ مولـده فنظمتهـا ولا أذكـر منهـا شـيئا، وفي اليـوم السابع من مولده عمل مأدبة عظيمة دعا إليها خلقا كثيراً وبعد ما أكلوا وشربوا قـاموا للعمـارة التي تقـدم ذكرهـا ودعـوني أن أشـاركهم في بـاطلهم فامتنعـت لأن مـن شـروط التجـاني المخلص أن لا يـذكر مـع أهـل طريقـة أخـرىٰ ذكـرهـم، وأن لا يرقص معهم، وفي كتاب «البغية» للشيخ العربي بن السايح[٢] وهو شرح المنية للتجاني ابن بابا الشنقيطي[٣] حكاية في وعيد

---

(١) يعني القرن الرابع عشر الهجري.

(٢) محمد العربي بن السايح الشرقي العمري، التجاني طريقةً، له مؤلفات عـدة، أهمهـا: بغيـة المـستفيد لـشرح منيـة المريـد شـرح بهـا منظومـة التجـاني ولـد بابـا الـشنقيطي، تـوفي بالربـاط عـام (١٣٠٩هـ فبرايـر ١٨٩٢م) ينظر: معلمة المغرب، ج ١٤، ص ٤٨٣٢.

(٣) أحمد بن بابا بن عثمان الشنقيطي التجاني العلوي: أديب، من فقهاء المالكية، وتصوف بالطريقة التجانية. وصنف في (رحلته) كتابا ذكر فيه من لقيهم من الأعلام، مبتدئا بأشياخه الذين قرأ عليهم في بلده. وتوفي بالمدينة(١٢٦٠ هـ - ١٨٤٤ م). ومن كتبه (نظم منية المريد) =

شديد لمن يشارك أصحاب الطرائق في أورادهم وأذكارهم وحاصلها: «أن شخصا تجانيا ذهب إلىٰ زاوية أهل طريقة أخرىٰ لغرض دنيوي فاستحيىٰ أن يبقىٰ منفردا عنهم وهم يذكرون وظيفتهم، فشاركهم في الذكر فلما فتح فاه ليذكر معهم أصابه شلل في فكَّيْه فبقي فاه مفغورا، ولم يستطع سده حتىٰ مات» ولكن الجماعة ألحّوا علي وجروني جرّاً حتىٰ أوقفوني في حلقتهم ؛ فرأيت أفواها مفغورة من وجوه بعضها فيه لحية سوداء وبعضها فيها لحية خطها الشيب وبعضها أمرد ليس له لحية من الغلمان الذين لم يلتحوا بعد، أما حلق اللحية فلم يكن موجودا في ذلك الزمن إلا عند الفرنسيين المستعمرين وقليل جدا من حواشيهم، وسمعت أصواتا تنبعث من تلك الأفواه ليس لها معنىٰ في أي لغة بعضها آ آآ وبعضها آه آه آه وبعضها أح أح أح فاستنكرت تلك الهيئة، وقلت في نفسي: إن الله لا يرضىٰ بهذه الحالة أن تكون عبادة

=

في التصوف. الأعلام للزركلي (١/ ١٠٣).

لـه لبـشاعتها، ثـم نـدمت علـىٰ ذلـك ندامـة الكـسعي[١] أو الفرزدق حين طلَّق نوار فقال:

نـدمت ندامـة الكـسعي لمـا غـدت منـي مطلقـة نـوار
وكانت جنتي فخرجت منهـا كآدم حين أخرجه الضرار[٢]

وقلت في نفسي: كيف يسوغ لي أن أنكر شيئا حضر مثله خاتم الأولياء القطب سيدي أحمد التجاني، فتبت من ذلك الخاطر.

---

(١) محارب بن قيس الكسعي: شاعر، يضرب به المثل في الندامة، ويذكرون من خبره أنه كانت له أقواس رمىٰ بها بعض حمر الوحش، فأصابها. وظن أنه أخطأها، فكسر الاقواس، ثم قال:

نـدمت ندامـة لـو أن نفـسي تطاوعني أذن لقطعـت خمسي
تبيـن لي سفـاه الـرأىٰ منـي لعمر أبيك، حين كسرت قوسي

وهو منسوب إلىٰ كسع (قبيلة في اليمن) وقيل في نسبه غير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٨١)وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٤/ ١٤٣).

(٢) النظم منسوب للفرزدق، انظر: الكامل في اللغة والأدب، للمبرد (١/ ١٠٣).

[اعتراف الكتاني ببطلان جميع الطرق الصوفية، وأنها صناعة لأكل أموال الناس بالباطل]

قال: ولكن جاءني امتحان آخر، وذلك أن الشيخ عبد الحي الكتاني قال لي منتقدا: إن الطريقة التجانية مبنية علىٰ شفا جرف، وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتمسك بها.

فقلت له: والطريقة الكتَّانِية التي أنت شيخها؟!

فقال لي:

«كل الطرائق باطلة وإنما هي صناعة للاحتيال علىٰ أكل أموال الناس بالباطل وتُسَخِّرهم وتَستعبدهم».

قال: «أنا لم أؤسس الطريقة وإنما أسسها غيري، وهذه الأموال التي آخذها منهم أنفقها في مصالح لا ينفقونها فيها».

ثم قلت له: «ومن الذي حملك علىٰ الطعن في الطرائق؟ وما دليلك علىٰ بطلانها؟» قال لي: «ادعاء كل من الشيخين أن النبي ﷺ يحضر بذاته وظيفة أصحابه حين يذكرونها، وهذه قلة حياء منهما، وعدم تعظيم منهما للنبي ﷺ، كيف تُكلِّفونه أن يخرج من قبره ويقطع كل هذه المسافات من البر

والبحر ليجلس أمامكم، فأنتم تبسطون له ثوبا أبيض ليجلس عليه، وأصحابنا يقومون علىٰ الباب ليتلقوه».

فقلت: «إذن أنت لا تعتقد صحة طريقتك؟» فقال: «لا أعتقدها أبدا، وقد أخبرتك أنها صناعة **لأكل أموال الناس بالباطل**».

[طعن الكتاني في كتاب جواهر المعاني للتجاني، ودعوىٰ أن نصفه مسروق]

قال الكتاني: وأزيدك علىٰ ذلك أن اعتماد طريقتكم علىٰ كتاب «جواهر المعاني» الذي تزعمون أن شيخكم أحمد التجاني أملاه علىٰ علي حرازم نصفه **مسروق بالحرف**، وهو تأليف لمحمد عبد الله المدفون بكذا وكذا بفاس ـ وسمىٰ ناحية نسيتها الآن ـ قال: «وأنا قابلت الكتابين من أولهما إلىٰ آخرهما فوجدت المجلد الأول من جوهر المعاني مسروقا كله من كلام الشيخ المذكور»[1].

---

(١) هذه الدعوىٰ حررها الدكتور علي آل دخيل الله في كتابه (التجانية) وقابل بين الكتابين وخلص إلىٰ أنه قد استفاد كثيرا من المقصد =

ففارقته وبعد أيام كنت جالسا عند الشيخ عمر بن الخياط بائع الكتب بقرب القرويين فقال لي: هلْ اجتمعت بالأستاذ الشيخ محمد بن العربي العلوي؟[١] فقلت: لا، فقال لي: هذا الرجل من أفضل علماء فاس، وعنده خزانة كتب لا يوجد مثلها في فاس، وأثنىٰ عليه بالعلم والأدب.

فقلت له: «أنا لا أجالس هذا الرجل ولا أجتمع به ؛ لأنه يبغض الشيخ أحمد التجاني ويطعن في طريقته».

=

الأحمد ولم ينقله بكامله ولا بنصه.. (ص ٥٩-٦٣).

(١) ولد سنة (١٣٠٥هـ) بمنطقة (تافيلالت) وكان عالما كبيرا ومصلحا مجتهدا، مجاهدا للطرقية وأهل البدع وللاستعمار الفرنسي بقلمه ولسانه وسنانه، أنشأ مع تلامذته مدرسة فكرية متميزة علىٰ منهاج الكتاب والسنة، من أبرزهم: علال الفاسي، والمكي الناصري، وإبراهيم الكتاني، وعبد العزيز بن إدريس، والمختار السوسي، ومحمد الفاسي، وآخرون، لم يهتم بالتأليف، وتوفي رحمه الله سنة (١٩٦٣م)، وللإستزادة في ترجمته ينظر: ١- إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، لمحمد بن الفاطمي السلمي. ٢- المهتدون الخالدون، لعبد الكريم غلاب (ص١٣).

[نصيحة ثمينة من الشيخ عمر الخياط]

فقال لي: «طالب العلم يجب أن يتسع فكره وخلقه لمجالسة جميع الناس، وبذلك يتسع علمه وأدبه، ولا يجب أن يقلدهم في كل ما يدَّعون، يأخذ ما صفا ويدع ما كدر، وإن لم تجتمع بهذا الرجل يفوتك علم وأدب كثير».

فذهبت إليه لأجتمع به، وكان قاضيا في محكمة فاس الجديدة فنظمت أربعة أبيات لا أحفظ منها إلا شطر البيت الرابع وهو:

(وهذا مدىٰ قصدي وما أنا مستجد..)

أعني أن غرضي بالاجتماع بك المذاكرة العلمية، فهي غاية قصدي وإن اعتبرنا ما موصولة يكون المعنىٰ والذي أستجديه أي: أطلب، وإن اعتبرناها نافية تميمية يكون المعنىٰ: ولست مستجديا، أي: طالبا مالا، فلما خرج من المحكمة وأراد أن يركب بغلته التي كانت علىٰ باب المحكمة ولجامها بيد خادمه تقدمت إليه وأعطيته الصحيفة التي فيها الأبيات فلما قرأها فقال لطالب كان يرافقني وهو

الحاج محمد بن الشيخ الأراري أنت تعرف بيتنا؟ فقال: نعم، قال: فأت به علىٰ الساعة التاسعة صباحا.

فخرجت مع الرفيق المذكور من مدرسة الشَّرَّاطين، وكان يسكن فيها علىٰ الساعة الثامنة والنصف لنصل إلىٰ الشيخ علىٰ الساعة التاسعة، وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وهو يوم عيد عند المغاربة، وكثير من البلدان الإسلامية.

[الطريقة العيساوية وما يفعلونه في موسمهم السنوي الموافق للثاني عشر من ربيع الأول]

قال: وفي المغرب طائفة يسمون (العيساويين) أتباع الشيخ بن عيسىٰ المكناسي[1] وهؤلاء لهم موسم في كل سنة

(١) هو: محمد بن عيسىٰ بن عامر بن عمر بن حريز بن محروز بن عبد المؤمن بن عيسىٰ المكناسي، ولد سنة ٨٧٢هـ، وطريقته المعروفة بالطريقة العيساوية طريقة صوفية، متفرعة عن الطريقة الجزولية، وله مريدون وأتباع في مختلف الأمصار، توفي بمكناس سنة ٩٣٣هـ ١٥٢٦م، ترجم له سيدي الأحمد الخليفي في كتاب مستقل، سماه «الأنيس الجليل في طريقة ومناقب سيدي محمد بن عيسىٰ =

يجتمعون فيه في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، ويأتون من جميع أنحاء المغرب، فيضربون طبولهم ومزاميرهم ويترنمون بأناشيدهم إلىٰ أن يظهر للناس أنهم أصيبوا بالجنون، وحينئذ يفترسون الغنم والدجاج بدون ذكاة بل يقطعونه بأظافرهم ويأكلون لحمه نيِّئا والدم يسيل منه، وقد ملئوا أزقة فاس وهي ضيقة في ذلك الزمان وحتىٰ في هذا الزمن، فلم نستطع أن نصل إلىٰ بيت الشيخ إلاَّ بعد مُضي ساعتين ونصف من شدة الزحام.

فلما وصلنا وأخبرنا بوابه ذهب ثم رجع إلينا وقال: إنكما لم تجيئا في الموعد المضروب، والشيخ مشغول عنده حكام فرنسيون[1] فارجعا إليه بعد صلاة العصر فرجعنا وقلت لصاحبي: لا نرجع إليه، فقد كفانا الله شر لقائه، لأنه مبغض لشيخنا وطريقته، فالخير فيما اختاره الله تعالىٰ.

فقال لي: ليس الشيخ بملوم، وقد اعتذر بعذر قائم،

=

القطب الكامل» مطبوع.

(١) كان المستعمر الفرنسي هو الذي يحكم المغرب آنذاك.

والصواب أن نرجع إليه.

فرجعنا إليه بعد العصر، ووجدت عنده من الترحيب والبشاشة والإكرام والتواضع ما لم أجده عند الشيخ الكتاني، ولا عند أحد من علماء فاس، وأخذنا في أحاديث أدبية، وكان يقوم ويأتي بالكتب ويضعها أمامي، ووجدته كما قال السيد عمر بن الخياط، ولما كادت الشمس تغرب استأذنته في الانصراف فقال لي: إلىٰ أين تذهب؟ أنت غريب في هذا البلد، وهذا المكان معد للضيوف لانحتاج إليه، فامكث فيه وبت هنا، فقبلت دعوته.

وبعد أن صلينا المغرب جاء أصحابه، أذكر منهم: الشيخ عبد السلام السرغيني[1] والشيخ المهدي العلوي[2] وهو لا يزال في قيد الحياة، أما الأول فقد مات فأخذ بعضهم يلعب

---

(١) هو الإمام عبد السلام بن محمد السرغيني، السلفي، من قبيلة «السراغنة» عين قاضيا في قبيلته السراغنة، وبقي هناك إلىٰ أن توفي بها سنة ١٣٥٤هـ. انظر: موسوعة مواقف السلف، لمحمد عبد الرحمن المغراوي (٩/ ٢٣٦).

(٢) لم أقف علىٰ ترجمته.

الشطرنج وهو يراهم ولا ينكر عليهم، فقلت في نفسي: هذا دليل علىٰ أنه من العلماء الذين لا يعملون بعلمهم، فهو جدير أن ينكر علىٰ أولياء الله ما خصهم الله به من كرامة، ثم تركوا الشطرنج وأخذوا ينتقدون الطريقة الكتانية، ويستهزئون بها ويسخرون من أهلها، وكل منهم يحكي حكاية.

[قصة الشاب الذي ترك الطريقة الكتانية]

قال: فقال الشيخ: عندي حكاية هي أعجب وأغرب مما عندكم ؛ جاءني شاب كان متمسكا بالطريقة الكتانية تمسكا عظيما فقال لي: أريد أن أتوب علىٰ يدك من الطرائق كلها، وتعلمني التمسك بالكتاب والسنة.

فقلت: وما دعاك إلىٰ الخروج من طريقتك التي كنت مغتبطا بها ؟

فقال لي: إنه أمس شرب الخمر وزنىٰ وترك صلاة العصر والمغرب والعشاء فمرّ بالزاوية الكتانية، وسمع المريدين يرقصون ويصيحون بأصوات عالية والمنشد ينشدهم، وكانت بقية سُكر لا تزال مسيطرة عليه فهَمَّ أن

يدخل الزاوية ويرقص معهم، ولكنه أحجم عن ذلك، لأنه جُنب ولم يصلِّ شيئا من الصلوات في ذلك النهار إلا أن سُكره غلب علىٰ عقله فدخل الزاوية، ووجد الشيخ محمد بن عبد الكبير في صدر الحلقة والمريدون يرقصون فاشتغل معهم في الرقص، وكان أنشطهم، فلما فرغوا من رقصهم دعاه الشيخ وقبله في فمه، وقال: «رأيت النبي ﷺ قَبَّلك فاقتديت به»، قال: ولما دعاني خِفت خوفا شديدا، وظننت أنه قد انكشف له حالي وهو يريد أن يوبخني علىٰ ذنوبي، فلما قال لي ذلك أيقنت أنه كاذب في كل ما يدعيه ويدعو إليه، وإلاَّ كيف يرضىٰ عنِّي النبي ﷺ ويُقبِّلني في فمي مع تلك الكبائر التي ارتكبتها في ذلك اليوم.

قال: فهذا سبب مجيئي إليك لأتوب إلىٰ الله من الطرائق كلها، وأتَّبع طريقة الكتاب والسنة.

ولما رأيتهم يعيبون الطريقة الكتانية ويستهزؤون بها أصابني خوف شديد، وندمت علىٰ زيارتي للشيخ، فقلت في نفسي: هذا الذي كنت أخافه قد وقعت فيه، فكيف الخلاص؟

وذكرت قول التجاني بن بابا الشنقيطي في مُنْيته:

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك
وضل في مهامه وفي حلك
وشدد النهي لنا الرسول
في ذاك فلتعمل بما أقول
والشيخ قال هو سم يسري
يحلّ من فعله في خسر[1]

ومعنىٰ ذلك أن الشيخ أحمد التجاني قال: قال لي سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناما: «قل لأصحابك لا يجالسوا المبغضين لك فإن ذلك يؤذيني».

فصممت علىٰ أن أخرج من ذلك المجلس ؛ فقمت، فقال لي الشيخ: إلىٰ أين؟ فقلت: إلىٰ بيت الخلاء، كذبت عليه، فلما وصلت إلىٰ الباب منعني البواب من الخروج وقال

(١) بغية المستفيد في شرح منية المريد (ص٣٧٧) الطبعة الثانية – دار الجيل.

لي: هل أَذِن لك الشيخ في الخروج؟ فقلت: نعم.

فقال لي: هذا محال لأنك غريب، والقانون الفرنسي يقضي بأن التَّجول بعد الساعة العاشرة ليلا فيه خطر، فإنك لا تمشي خطوات حتىٰ يُقبض عليك، وتؤخذ إلىٰ السجن، وتبقىٰ فيه إلىٰ ضحىٰ الغد، وحينئذ يُنظر في إطلاق سراحك.

وقال لي: أنا لا أفتح لك الباب إلاّ إذا سمعت الإذن من الشيخ.

فقلت: إذن أرجع، ورجعت وجلست في مكاني، ولم تخف حالي علىٰ الشيخ.

فقال لي: أراك منقبضا فما سبب انقباضك ؟

فقلت: سببه أنكم انتقلتم من الطعن في الطريقة الكتانية إلىٰ الطعن في الطريقة التجانية، وأنا تجاني لا يجوز لي أن أجلس في مجلس أسمع فيه الطعن في شيخي وطريقته.

فقال لي: لا بأس عليك، أنا أيضا كنت تجانيا، فخرجت من الطريقة التجانية لما ظهر لي بطلانها، فإن كنت تريد أن تتمسَّك بهذه الطريقة علىٰ جهل وتقليد فلك عليَّ ألا تسمع

بعد الآن في مجلسي انتقادا لها أو طعنا فيها، وإن كنت تريد أن تسلك مسلك أهل العلم فهلُمَّ إلىٰ المناظرة، فإن ظهرت عليَّ رجعتُ إلىٰ الطريقة، وإن ظهرتُ عليك خرجتَ منها كما فعلت أنا.

فأخذتني النَّخوة، ولم أرض أن أعترف أني أتمسك بها علىٰ جهل، فقلت: قَبِلت المناظرة.

[المناظرة بينه وبين الشيخ محمد بن العربي في دعوىٰ رؤية التجاني النبي ﷺ يقظة لا مناما]

قال: قال الشيخ: أريد أن أناظرك[1] في مسألة واحدة إن ثبتت ثبتَت الطريقة كلها.

قلت: ما هي؟

قال: ادّعاء التجاني أنه رأىٰ النبي ﷺ يقظة لا مناما، وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل، فإن ثبتت رؤيته للنبي ﷺ يقظة، وأخْذه منه الطريقة فأنت علىٰ حق، وأنا علىٰ

(١) ينظر أصل هذه المناظرة ومن أين استفادها الشيخ محمد بن العربي. آخر هذه الرسالة (ص٧٧).

باطل، والرجوع إلىٰ الحق حق، وإن بَطُل ادعاؤه ذلك فأنا علىٰ حق وأنت علىٰ باطل، فيجب عليك أن تترك الباطل وتتمسك بالحق.

ثم قال: تبدأ أو أبدأ أنا؟

فقلت: ابدأ أنت.

فقال: عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوىٰ التجاني.

قلت: هات ما عندك وعليَّ الجواب.

فقال:

الأول: إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ كان بسبب الخلافة، قالت الأنصار للمهاجرين: منا أمير ومنكم أمير، وقال المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش، ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتىٰ شغلهم عن دفن النبي ﷺ، فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه

عليه[١].

فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصِل النزاع بينهم ويقول: الخليفة فلان فينتهي النزاع؟ كيف يترك هذا الأمر العظيم؟

لو كان يُكلِّم أحدا يقظة بعد موته لكلَّم أصحابه، وأصلح بينهم، وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد مضي ألف ومئتي سنة، ولماذا ظهر ؟ ليقول له: أنت من الآمنين، ومن أحبك من الآمنين، ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالداه وأولاده وأزواجه لا الحفدة[٢]، فكيف يترك النبي ﷺ الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم.

فقلت له:

إن الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أجاب عن هذا الاعتراض في حياته، فقال: إن النبي ﷺ يلقي الخاص للخاص والعام للعام

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٦/ ٧٠).

(٢) كذا في المطبوع. وفي النسخ الأخرىٰ: (والحفدة).

في حياته، أما بعد موته فقد انقطع اللقاء العام للعام وبقي اللقاء الخاص للخاص لم ينقطع بوفاته، وهذا الذي ألقاه علىٰ شيخنا من إعطاء الوِرد والفضائل هو من الخاص للخاص[1].

فقال: أنا لا أُسلِّم أن في الشريعة خاصا وعاما، لأن أحكام الشرع خمسة، وهذا الورد وفضائله إن كان من الدين فلابد أن يدخل في الأحكام الخمسة؛ لأنه عمل أعد الله لعامله ثوابا، فهو إما واجب أو مستحب، ولم ينتقل النبي ﷺ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ حتىٰ بيّن لأمته جميع الواجبات والمستحبات، وفي صحيح البخاري عن علي ابن أبىٰ طالب أنه قيل له: هل خصكم رسول الله ﷺ معشر أهل البيت بشيء؟ فقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما خصَّنا رسول الله ﷺ بشيء إلا فهما يعطاه الرجل في كتاب الله، وإلا ما في هذه الصحيفة» ففتحوها فإذا فيها العقل، وفكاك الأسير، وألا

(١). ينظر: جواهر المعاني (١/ ١٣٦).

يقتل مسلم بكافر[١].

فكيف لا يخص النبي ﷺ أهل بيته وخلفاءَه بشيء ثم يخصّ رجلا في آخر الزمان بما يتنافى مع أحكام الكتاب والسنة؟!

فقلت: إن الشيخ عالم بالكتاب والسنة، وفي جوابه مقنع لمن أراد أن يقنع.

قال: احفظ هذا.

الأمر الثاني: اختلاف أبي بكر مع فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على الميراث، فلا يخفى أن فاطمة طلبت من أبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حقها من ميراث أبيها، واحتجت عليه أنه إذا مات هو يرثه أبناؤه، فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر الصدِّيق بأن النبي ﷺ قال: «**نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة**»[٢] وقد حضر ذلك جماعة

---

(١) صحيح البخاري ـ باب كتابة العلم. ١١١(١/ ٣٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث مالك بن أوس بدون زيادة (نحن معاشر الأنبياء) ـ باب حكم الفيء ـ ٤٦٧٦ (٥/ ١٥١) وأخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد في المسند ٩٩٧٣ (٢/ ٤٦٣) وقال =

من الصحابة، فبقيت فاطمة الزهراء مغاضبة لأبي بكر حتىٰ ماتت بعد ستة أشهر بعد وفاة أبيها ﷺ، فهذان حبيبان لرسول الله ﷺ فإنه قال: (فاطمة بضعة مني يسوءني ما ساءها)[1] أو كما قال عليه الصلاة والسلام، وصرح أن أبا بكر أحب الناس إليه[2]، وقال: (**ما أحد أمنّ علي في نفس ولا مال من أبي بكر الصدِّيق**) رواه البخاري[3].

=

شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(١) أخرجه البخاري في باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ بلفظ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» ٣٧١٤ (٥/ ٢٦) وفي باب ذكر أصهار النبي ﷺ. بلفظ: «فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها» ٣٧٢٩(٥/ ٢٨) وأخرجه مسلم بلفظ: (إنما فاطمة بضعة منىٰ يؤذيني ما آذاها) باب فضل فاطمة ٦٤٦١ (٧/ ١٤١).

(٢) كما في حديث عمرو بن العاص الذي أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل ح: ٤٣٥٨(٥/ ١٦٦) أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها... الحديث.

(٣) صحيح البخاري ـ باب الخوخة والممر في المسجد. ٤٦٧ (١/ ١٢٦).

وهذه المغاضَبة التي وقعت بين أبىٰ بكر وفاطمة، تسوء النبي ﷺ، فلو كان يظهر لأحد بعد وفاته لغرض من الأغراض لظهر لأبي بكر الصديق وقال له: «إني رجعت عما قلته في حياتي، فأعطها حقها من الميراث» أو لظهر لفاطمة وقال لها: «يا ابنتي لا تغضبي علىٰ أبي بكر فإنه لم يفعل إلا ما أمرته به».

فقلت له: ليس عندي من الجواب إلا ما سمعتَ.

قال: احفظ هذا.

الأمر الثالث: الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة، وعلي بن أبىٰ طالب من جهة أخرىٰ، واشتد النزاع بينهم حتىٰ وقعت حرب الجمل في البصرة فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين وعقر جمل عائشة[1] فكيف

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك - للطبري (٣/ ٤١) ولم يشهد وقعة الجمل من الصحابة رغم توافرهم إلا عدد قليل لا يزيد علىٰ ثلاثين. ينظر: العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد(٣/ ١٨٢) والسنة للخلال (٤/ ٤٦٦).

يهون علىٰ النبي ﷺ سفك هذه الدماء ووقوع هذا الشر بين المسلمين، بل بين أخص الناس به، وهو يستطيع أن يحقن هذه الدماء بكلمة واحدة؟ وقد أخبر الله سبحانه في آخر سورة التوبة برأفته ورحمته بالمؤمنين، وأنه يشق عليه كل ما يصيبهم من العنت، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فقلت له: ليس عندي من الجواب إلا ما سمعت، وظهوره وكلامه للشيخ التجاني فضل من الله، والله يؤتي فضله من يشاء.

قال: احفظ هذا وفكِّر فيه.

الأمر الرابع: خلاف علي مع الخوارج[1] وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر النبي ﷺ لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقنت تلك الدماء.

فقلت: الجواب هو ما سمعت.

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك (٣/ ١٠٨-١٢٣).

فقال لي: احفظ هذا وفكِّر فيه، فإني أرجو أنك بعد التفكير ترجع إلىٰ الحق...

والأمر الخامس: النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية، وقد قُتل في الحرب التي وقعت بينهما خلق كثير، منهم عمار بن ياسر[1] فكيف يترك النبي ﷺ الظهور لأفضل الناس بعده، وفي ظهوره هذه المصالح المهمة من جمع كلمة المسلمين وإصلاح ذات بينهم وحقن دمائهم، وهو خير المصلحين العاملين بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحُجُرات: ١٠] ثم يظهر للشيخ التجاني في آخر الزمان لغرض غير مهم، وهو في نفسه غير معقول ؛ لأنه مضاد لنصوص الكتاب والسنة ؟

فلم يجد عندي جوابا غير ما تقدّم، ولكني لم أُسلِّم له.

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٩٨).

فقال لي: فكِّر في هذه الأدلة، وسنتباحث في المجلس الآخر.

فعقدنا بعد هذا المجلس سبعة مجالس، كل منها كان يستمر من بعد صلاة المغرب إلىٰ ما بعد صلاة العشاء بكثير.

وحينئذ **أيقنت أنني كنت علىٰ ضلال، ولكن أردت أن أزداد يقينا.**

فقلت له: من معك من العلماء هنا في المغرب علىٰ هذه العقيدة ؟ **وهي أن كل مسألة في العقائد أو في الفروع يجب أن نعرضها مع قصر باعنا وقلة اطلاعنا علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فما ظهر لنا أنه موافق لهما قبلناه، وما ظهر لنا أنه مخالف رددناه.**

فقال لي: يوافقني علىٰ هذا أكبر مُقدِّم للطريقة التجانية في المغرب كله وهو الشيخ الفاطمي الشرادي[1].

---

(١) الفقيه العلامة سيدي محمد الفاطمي بن محمد الشرادي. ولد بمدينة فاس عام ١٢٨٥هـ، وبها أخذ العلم عن جماعة من العلماء، له تآليف عديدة، منها: «شرح علىٰ ألفية بن مالك»، و«تسهيل النجعة بمراتب =

فكدت أُكذِّبه ؛ لأن المشهور في جميع أنحاء المغرب أن هذا الرجل من كبار العلماء، وهو أكبر مقدِّم للطريقة التجانية، ولم أقل أكبر شيخ ؛ لأن الشيخ التجاني لا يبيح لأحد أن يكون شيخا للطريقة سواه، لأن تلقيبه بالشيخ قد يُفهم منه أنه يجوز لغيره أن يتصرف في أوراد الطريقة وفضائلها وعقائدها، وذلك ممنوع ؛ لأن الذي أعطىٰ هذه الطريقة هو النبي ﷺ يقظة لا مناما كما تقدم، والمتلقي الأول لها هو الشيخ أحمد التجاني، والنبي ﷺ سماه شيخًا لهذه الطريقة، وكل ناشر للطريقة وملقّن لأورادها يسمىٰ مقدِّما فقط.

فالطريقة لها مصدر واحد وشيخ واحد، ولا يجوز تعدد المصدر ولا تعدد الشيخ حسبما في كتب الطريقة.

=

الشفعة» كان من المقدمين لتلقين أوراد الطريقة التجانية، وترك الطريقة المذكورة في آخر عمره رحمه الله، توفي عام ١٣٤٤ هـ. انظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سُكيرج رقم الترجمة ٣٢.

[لقاؤه الشيخ الفاطمي كبير مقدمي التيجانية الذي تخلىٰ عنها]

قال: فتوجهت إلىٰ الشيخ الفاطمي ـ رحمه الله ـ وكان الوقت ضحىٰ، وقد أوصاني شيخنا محمد بن العربي ألاّ أسأله إلا في خلوة، فوجدت عنده جماعة فانصرف بعضهم وجاء آخرون، وبقيت عنده أنتظر أن أخلو به حتىٰ صلينا الظهر وجاء الغداء، فلم أستطع أن أخلو به، وكان ثلاثة ممن كانوا في مجلسه حاضرين.

فقلت له: إن الشيخ محمد بن العربي العلوي يقول: يجب علينا أن نعرض جميع المسائل أصولا وفروعا علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله، فما وافق في نظرنا القاصر قبلناه وما خالف رددناه، ولو قال به الإمام مالك أو الشيخ أحمد التجاني.

فأشار إليّ بيده يستمهلني، وكان جلوسي عنده قد طال، فانصرفت إلىٰ مدرسة الشَّرَّاطين حيث كنت نازلا قبل لقائي بالشيخ العلوي.

وفي ذلك اليوم بعد صلاة العشاء جاءني بواب المدرسة وقال لي: إن الشيخ الفاطمي الشرادي أرسل إليك عبده وبغْلته يطلب أن تزوره.

فتعجَّبتُ كثيرا لأمرين:

أحدهما: أن الوقت ليس وقت زيارة.

وثانيهما: أنه لم تجر العادة أن كبار العلماء الطاعنين في السن، يبعثون الدابة للركوب إلا لمن هو مثلهم في السن و العلم وأنا شاب.

فركبت البغلة وسار العبد أمامي حتىٰ وصلت إليه، وسلّمت عليه فرد أحسن رد ورحَّب بي وقال: يا ولدي، أنا رجل كبير طاعن في السن، ليس لي قدرة علىٰ القتال، أما سيدي محمد بن العربي العلوي فهو شاب مستعد للقتال، وأنت سألتني أمام الناس عن مسألة مهمة لا يسعني أن أكتم جوابها، ولا أستطيع أن أصرح به أمام الناس، فاعلم أن ما قال لك سيدي محمد بن العربي العلوي هو الحق الذي لا شك

فيه، وقد أخذت الطريقة القادرية[١] وبقيت فيها زمانا، ثم أخذت الطريقة الوزّانية[٢] وبقيت فيها زمانا، ثم أخذت الطريقة التجانية والتزمتها حتىٰ صرت مقدما فيها، فلم أجد في هذه الطرائق فائدة وتركتها، ولم يبق عندي من التصوف إلا طلب الشيخ المربي علىٰ الكتاب والسنة علما وعملا ولو وجدته لصاحبته وصرت تلميذا له، وأنت تريد أن تسافر إلىٰ الشرق فإن ظفرت بشيخ مرب متخلق بأخلاق الكتاب والسنة علما وعملا، فاكتب إلي وأخبرني به حتىٰ أشد الرحال إليه.

فازددت يقينا بالنتيجة التي وصلت إليها في مناظرتي مع

---

(١) أسسها أتباع الشيخ عبد القادر بن موسىٰ الجيلاني (٤٧١-٥٦١هـ) بجيلان شرق بغداد، وغلا فيه أتباعه حتىٰ نسبوا له ما لا يكون إلا لله تعالىٰ، كقولهم:

عبد القادر يا جيلاني يا متصرف في الأكوان

انتشرت هذه الطريقة في سوريا والعراق وتركيا والمغرب والجزائر وفلسطين، انظر: بغية المستفيد (ص٧٥).

(٢) نسبة إلىٰ الشيخ: عبد الله بن الشريف الوزاني، ظهرت في وسط القرن الحادي عشر الهجري في بلدة (وزّان) ثم انتشرت في أنحاء كثيرة في المغرب وشمال افريقيا. ينظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٦٣).

الشيخ العلوي، ولو كان عندي من العلم مثل ما عندي الآن لقلت له: إن ضالَّتك المنشودة هي أقرب إليك من كل قريب، فإن هذا الشيخ الذي تطلبه وتريد أن تشد الرحال ولو بعُدت الدار وشط المزار هو أنت نفسك؛ بشرط أن يكون عندك العزم التام علىٰ العمل بالكتاب والسنة، وطرح التقليد جانبا كيفما كان الأمر، فجزاهما الله خيرا وتغمدهما برحمته.

[لقاؤه بالشيخ عبد العزيز بن إدريس]

قال: وبعد ذلك بعشرين سنة اجتمعت بالشيخ عبد العزيز بن إدريس من علماء تطوان[1]، وهو من تلاميذ الشيخ الفاطمي فذكرت له الحكاية السالفة، فقال لي: وأنا أيضا وقع لي ما يشبه هذا، فإني بعد إتمام دراستي في جامع القرويِّين ذهبت إليه وهو أفضل شيوخي، فقلت له: أيها

---

(١) هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن إدريس العمراوي الحسني، المولود سنة ١٣٢٥ه من قبيلة إيموزار بفاس، ومن العلماء المجاهدين للاستعمار الفرنسي، دخل السجن عدة مرات وقُتل غيلة عام ١٣٧٨ه ودفن بفاس، رحمه الله. ينظر: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٢/ ٥٦٨).

الشيخ أريد أن أرجع إلىٰ وطني تطوان، فأريد أن تزودني بدعائك الصالح، وأن تلقنني وِرد الطريقة التجانية.

فقال لي: يا أسفًا عليك، أنت تحفظ كتاب الله، وقد درست العلوم الإلهية التي تمكِّنك من فهم كتابه وسنة رسوله ﷺ، ولم يكفك ذلك كله حتىٰ تطلب الهدىٰ في غيره، والطريقة لا شيء، فعليك بكتاب الله وسنة رسول الله.

فكشف الله عني بفضله ظلام الشرك والبدعة، وفتح لي باب التوحيد والاتباع فله الحمد والمنة، نسأله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه الهادي إلىٰ الصراط المستقيم.

أصل المناظرة التي اقتبسها محمد بن العربي

من أين جاء أصل هذه المناظرة التي وقعت بيني وبين الشيخ محمد بن العربي العلوي رحمه الله تعالىٰ ؟

كنت أظن أن أصلها من الشيخ العالم المصلح شعيب الدُكَّالي[1] لأنه ناظر بها شيخنا محمد بن العربي فأفحمه واضطره إلىٰ الخروج من الطريقة، ففعل هو معي مثل ما فعله معه الشيخ شعيب الدكالي رحمهما الله تعالىٰ.

ولكني بعد ذلك بزمن وجدت هذه المناظرة في كتاب (غاية الأماني في الرد علىٰ النبهاني) لمؤلفه العالم السلفي

---

(١) هو: الشيخ شعيب بن عبد الرحمان الدكالي الصديقي ولد بدار الفقيه بن الصديقي بدكالة في ٢٥ ذي القعدة عام ١٢٩٦هـ رحل للمشرق العربي فأقام بمصر ست سنوات، ثم رحل للحجاز بطلب من أمير مكة الشريف عون الرفيق، وذلك لإقراء العلم بها، وفي سنة ١٣٢٧هـ رجع للمغرب فانتخب قاضيا بمراكش عام ١٣٢٩هـ. ثم وزيرا للعدلية عام ١٣٣٠هـ. وتوفي عام ١٣٥٦هـ. انظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سُكيرج رقم الترجمة ٤٦.

محمود شكري الألوسي البغدادي رحمه الله[١]، وهذا الكتاب من أنفس كتب السلفية جادل المبتدعين من المتصوفة وشدد عليهم الخناق بعبارات بليغة كأنها عقود الجمان في أجياد الحسان، فيه من المتعة والفوائد ما يقل نظيره في الكتب. والمثل الإنكليزي يقول ما معناه: «ينبغي أن يكون الأصدقاء والكتب قليلين لكن طيبين، وهذا المثل ينطبق علىٰ هذا الكتاب».

هذا سبب خروجي من الطريقة التجانية الذي لم يكن يخطر ببالي، وإنما اضطرني إليه البرهان اليقيني الذي لا يترك شكا ولا ريبا في أن هذه الطريقة كما هي في كتب أهلها وفي اعتقادهم لا يمكن الجمع بينها وبين اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ البتة[٢].

(١) ينظر: غاية الأماني في الرد علىٰ النبهاني (١/ ٢٩٦).

(٢) الهدية الهادية علىٰ الطريقة التجانية (ص١٦-٢٢) الطبعة الثانية.

الخاتمة

وفيها إشارة إلىٰ وقفات وتأملات مع بعض العبارات الواردة في القصة والدروس والعبر المستفادة منها

أخي ـ الحريص علىٰ نجاة نفسه ـ قف مليّا مع عبارت الشيخ التالية، وتأملها جيدا بعقلك الذي ميزك الله به لا بعاطفتك وموروثك القديم:

- قال: «يستغيث به ـ أي الشيخ ـ في الشدائد، ويستنجد به في المصائب، يلهج دائما بشكره والثناء عليه».
- «إن وجد نعمه شكره، وإن أصابته مصيبة اتهم نفسه بالتقصير في محبة شيخه والتمسك بطريقته».

«ولا يخطر بباله أن شيخه يعجز عن شيء في السماوات ولا في الأرض، وهو علىٰ كل شيء قدير...».

قلت: فماذا بقي لله تعالىٰ، تأمل مع ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

• قال: «صيغة الفاتح لما أغلق أفضل الصيغ...».

قلت: أليس من العجب أن تكون «صلاة الفاتح لما أغلق» أفضل مما علمه النبي ﷺ الصحابة وأوجبه في الصلاة وهي الصلاة الإبراهيمية!

• قال: «يكون الذاكر جالسا كجلسة التشهد على الأفضل مغمضا عينيه مستحضرا صورة الشيخ أحمد التيجاني...».

قلت: أليس استحضار صورة النبي ﷺ أولىٰ ! تنزلًا.

• قال: «كلما أصابتني مصيبة أستغيث بالشيخ فلا يغيثني..».

قلت: تأمل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

• قال: «عدت إلى نفسي باللوم والتقصير في خدمة الطريقة ولم اتهم الشيخ البتة بعجز عن قضاء حاجتي..».

قلت: تأمل وقارن هذا مع قول الله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ

مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] نعم ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.

• قال: «شيوخ الطريقة يوصون المريد ألا يطالع شيئا من كتب التصوف إلا كتب الطريقة التيجانية..».

قلت: هذا من الحجر علىٰ العقول، وهو ديدن الطغاة قديما وحديثا: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ [غافر: ٢٩] أليست الحكمة ضالة المؤمن أنىٰ وجدها أخذ بها.

• قال: «كنت يومئذ مشركا أستغيث بغير الله وأخاف وأرجو غير الله..».

قلت: هذا اعتراف خطير.. لكنها الحقيقة.

• قال: «ظهور الخوارق وما في عالم الغيب ليس دليلا علىٰ صلاح من ظهرت له تلك الخوارق».

قلت: لأنها تقع لبعض عباد الأوثان.

• فقال لي: (اقرأ العلم..).

قلت: لأن هذه الخرافات لا تنطلي إلا علىٰ من حرم

العلم النافع، والعلم ما قام علىٰ الدليل، والنافع ما جاء به النبي ﷺ.

● قال: «من ترك ورده وأخذ وردنا وتمسك بطريقتنا.. فلاخوف عليه من الله ولا من رسوله ولا من شيخه..».

● قال: «ومن أخذ وردنا وتركه فإنه يحل به من البلاء دنيا وأخرىٰ..».

قلت: تأمل قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

● قال: «الرؤيا تبشر ولا تغر..».

قلت: وهذا حق، فقد انقطع الوحي بوفاته ﷺ، ولا تنبني علىٰ الرؤىٰ أحكام شرعية.

● قال: «كنت أرىٰ خروجي من الطريقة كالخروج من الإسلام ولم يكن يخطر ببالي أن أتزحزح عنها قيد شعرة..».

قلت: تأمل قول الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

• قال: «بعدما أكلوا وشبعوا قاموا للعمارة (الرقص)...».

قلت: أهكذا تشكر النعم !.

• قال: «قلت في نفسي: إن الله لا يرضىٰ بهذه الحالة أن تكون عبادة له لبشاعتها..».

قلت: وهكذا الفطرة السليمة والعقل إذا استيقظ.

• قال: «قال لي ـ أي الشيخ عبد الحي الكتاني ـ: كل الطرائق باطلة، وإنما هي صناعة للاحتيال علىٰ أكل أموال الناس بالباطل وتسخرهم وتستعبدهم..».

قلت: وشهد شاهد من أهلها.

• قال: «اعتماد طريقتكم علىٰ كتاب (جواهر المعاني).. نصفه مسروق بالحرف، وهو من تأليف لمحمد عبد الله المدفون بكذا وكذا بفاس..».

قلت: لا تعليق.

• قال: «قال لي: طالب العلم يجب أن يتسع فكره

وخلقه لمجالسة جميع الناس، ولا يجب أن يقلدهم في كل ما يدَّعون، يأخذ ما صفا ويدع ما كدر..».

قلت: صدق ونصح، فالحكمة ضالة المؤمن أنىٰ وجدها أخذ بها، ولكن عليه الحذر من مجالسة المبتدعة ومرضىٰ القلوب، فلا يجالس الأردىٰ فيردىٰ مع الردي..

• قال: «يفترسون ــ أي أتباع الطريقة العيساوية يوم عيدهم (المولد) في الثاني عشر من ربيع الأول ــ الغنم والدجاج بدون ذكاة بل يقطعونه بأظفارهم، ويأكلون لحمه نيئا والدم يسيل منه..».

قلت: لا تعليق.

• قال: «قال الشاب: كيف يرضىٰ عني النبي ﷺ، ويقبلني في فمي مع تلك الكبائر التي ارتكبتها ذلك اليوم..».

قلت: تحرك العقل والفطرة.

• قال: «قال أحمد التيجاني: قال لي سيد الوجود يقظة لا مناما: قل لأصحابك لا يجالسوا المبغضين لك فإن ذلك يؤذيني».

قلت: حصانة شخصية، وهي دالة علىٰ تطلب مكسب شخصي ناتج عن كذب وطمع.

• قال: «فقال لي بعد بنود المناظرة: احفظ هذا وفكر فيه فإني أرجو أنك بعد التفكير ترجع إلىٰ الحق..».

قلت: وهذا ما أرجوه لك أخي القارئ: احفظ هذا وفكر فيه، فإني أرجو أنك بعد التفكير ترجع إلىٰ الحق إن كنت ممن ابتلي بمثل هذا.

• قال لي الشيخ الفاطمي ـ مقدم الطريقة التجانية ـ: قد أخذت الطريقة القادرية فبقيت فيها زمانا، ثم أخذت الطريقة الوزانية وبقيت فيها زمانا، ثم أخذت الطريقة التجانية فالتزمتها حتىٰ صرت مقدما لها، فلم أجد في هذه الطرائق فائدة وتركتها..

قلت: نعم: فأما الزبد فيذهب جفاء.

• قال: ولم يبق عندي من التصوف إلا طلب الشيخ المربي علىٰ الكتاب والسنة علما وعملا..

قلت: نعم، فاظفر به ـ أخي القارئ ـ تربت يداك، «ظهر

الصباح فأطفئ القنديلا» قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

أخي القارئ العزيز، هل بقي من تردد أو شك، استعن بالله ولا تعجز، وكن رجلا في اتخاذ القرار الحازم، وابدأ صفحة المصالحة مع الله تعالىٰ ومع كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم ﷺ؛ لتنجو بنفسك وتستدرك ما بقي من عمرك ما دمت في زمن المهلة، وما دام باب التوبة مفتوحا؛ لتسعد في الدنيا والآخرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] وفقني الله وإياك لهداه وجنبنا ما يسخطه.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد: (بين يدي القصة)	١١
ترجمة موجزة للشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله....	١٨
تعريف موجز بالطريقة التِّجَّانية	٢٢
قصة هداية الشيخ.....	٢٧
نشأة الشيخ وواقع التصوف في بلاده	٢٧
الورد والوظيفة والعمارة: بيانها وفضائلها عندهم	٣١
قصته مع جمل رفيقه واستغاثته بشيخه	٣٤
وصية الشيوخ بعدم مطالعة كتب غيرهم، وتمرد الشيخ على هذه الوصية	٣٥
قيامه الليل، وحادثة المصلي معه، وتفسير الشيخ الشنقيطي لها.....	٣٥
صفة التسليم من الصلاة عند المالكية واستدراكه عليهم ..	٣٧
صلته بعلم الحديث	٣٩
تنبيه مهم حول الخوارق.....	٣٩

الموضوع الصفحة

رؤياه النبي ﷺ وحثه علىٰ طلب العلم ٤٠
رؤياه النبي ﷺ بعد تركه التيجانية ٤١
وسوسة الشيطان له وتخويفه من ترك الورد التيجاني وما يترتب علىٰ ذلك ٤٢
سبب الاختلاف بين الرؤيا الأولىٰ والأخيرة في نظره ٤٣
سبب خروجه من الطريقة التجانية ٤٤
اعتراف الكتاني ببطلان جميع الطرق الصوفية، وأنها صناعة لأكل أموال الناس بالباطل ٥٠
طعن الكتاني في كتاب جواهر المعاني للتجاني، ودعوىٰ أن نصفه مسروق ٥١
نصيحة ثمينة من الشيخ عمر الخياط ٥٣
الطريقة العيساوية وما يفعلونه في موسمهم السنوي الموافق للثاني عشر من ربيع الأول ٥٤
قصة الشاب الذي ترك الطريقة الكتانية..... ٥٧
المناظرة بينه وبين الشيخ محمد بن العربي في دعوىٰ رؤية التجاني النبي ﷺ يقظة لا مناما ٦١
لقاؤه الشيخ الفاطمي كبير مقدمي التيجانية الذي تخلىٰ عنها..... ٧٢

الموضوع الصفحة

لقاؤه بالشيخ عبد العزيز بن إدريس..... ٧٥
أصل المناظرة التي اقتبسها محمد بن العربي. ٧٧
الخاتمة: وقفات وتأملات مع بعض العبارات الواردة في
القصة..... ٧٩
فهرس الموضوعات..... ٨٧